

اللغات الأخرى في القرآن الكريم

وموقف الطبري منها^(١)

سعد محمد الكردي

تذكر المصادر أن بعض عرب الجاهلية والإسلام كانوا يعرفون إلى جانب لغتهم العربية لغة أخرى أو أكثر من لغات الأمم الأخرى التي كان لها اتصال بالجزيرة العربية، فذكرت بعض الشعراء أمثال عدي بن زيد العبادي، ولقيط بن يعمر الإيادي، وبعض الذين اشتهروا بقراءة الكتب الدينية، والذين كتبوا قصص الشعوب وأساطيرها، أمثال ورقة بن نوفل، وسويد بن الصامت، وكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، الذين كانوا يكتبون إلى الملوك ويترجمون رسائلهم من اللغات الفارسية أو القبطية أو الحبشية.^(٢)

ومع اتساع رقعة الفتوح زاد احتكاك العرب بغيرهم من الأمم وزادت الحاجة لمعرفة لغات الأمم المجاورة التي شملها الفتح، فلم تعد تقتصر المسألة على حالات فردية لأشخاص يذكرون، بل توسع نطاقها، فكان هناك عرب يعرفون لغة أخرى من لغات الشعوب التي يتعاملون معها، وفي الوقت نفسه كان أناس من الأمم الأخرى يعرفون العربية لكثرة اتصالهم بالعرب، هم الذين يكتبون الرسائل المبعوثة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى خليفة من خلفائه.^(٣)

وقبل تعريب الدواوين في البلاد العربية الإسلامية المفتوحة المجاورة للأمم الأخرى كان التبادل اللغوي منتشراً بين العرب المسلمين وجيرانهم من غير العرب، فكانت لغة الدواوين

(١) محمد بن جرير الطبري ولد بـ (أمل) سنة ٢٢٤هـ، انصرف إلى طلب العلم منذ نعومة أظفاره في بلده، ثم طوَّف في الأمصار الإسلامية فحصل علوماً كثيرة أعلته لأن يصبح من كبار أعلام الثقافة العربية الإسلامية ترك لنا كتباً كثيرة أهمها (تاريخ الرسل والملوك) وتفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) توفي سنة ٣١٠هـ (ينظر: تاريخ بغداد: ١٦٢/٢، ومعجم الأدباء: ٤٠/١٨ وما بعدها، ونسب الميزان: ١٠٠/٥، وطبقات الشافعية الكبرى: ١٣٥/٢، وطبقات المفسرين للسيوطي: ٣٠، طبقات المفسرين للدودي: ١٠٦/٢، وغيرها....).

(٢) فتوح البلدان، للبلاذري: ٤٧٩، كتاب المصاحف للسجستاني: ٣ التنبيه والإشراف للمسعودي: ٢٤٦ الأغاني: ١٠١/٢، ١٠٢-١٠٣، ١٢٠/٣، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ٥٤-٥٥.

(٣) المعارف لابن قتيبة: ١٩٢، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ٥٦.

اللغة الفارسية أو غيرها.

هذه الأمور مجتمعة أدت إلى أن يكون هناك أخذ وعطاء بين العربية وغيرها من اللغات ما دفع أستاذنا الدكتور مسعود بوبو إلى القول: (إن وجود الدخيل في اللغات ظاهرة إنسانية طبيعية تنتج عن التقاء البشر واختلاطهم مما أدى إلى اختلاط اللغات، وتبادل الألفاظ، فأخذت كل لغة ما تحتاج إليه من ألفاظ لغة أخرى، وما من لغة ذات شأن في تاريخ الحضارة الإنسانية إلا كانت عرضة لمثل هذا التبادل اللغوي، بل إن عملية التبادل اللغوي واتساعها، جعلها حقيقة علمية لا يمكن إغفالها مما دفع البحث اللغوي إلى دراستها دراسة معمقة موسعة).^(٤)

ولكن هذا الأخذ لم يكن عشوائياً، بل جرى حسب أصول العربية، فلم تؤخذ تلك الألفاظ الدخيلة عن الأمم الأخرى كما هي منطوقة في لغاتها الأصلية، بل نطقت حسب أصول العرب في النطق والاستعمال فقاسوها على كلامهم وقواعدهم فكلمة (المهندس) الفارسية نطقوها (المهندس) لأن الدال والزاي لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب، وعلى هذه الشاكلة تم أخذ ألفاظ الأمم الأخرى ولم يأخذوا الألفاظ الدخيلة بنطقها الأصلي إلا في النادر، وفي حالة الضرورة القصوى، وهكذا فعلت اللغات الأخرى التي أخذت ألفاظاً من اللغة العربية، ولا يخفى عن ذهن أحد كيف تنطق كلمة (دمشق) أو (حلب) أو (القاهرة) في اللغة الإنكليزية، فإنهم ينطقونها حسب مخارج أصواتهم، وأصول لغتهم، لا ينطقونها كما تنطق في لغتها الأصلية.

ولم تصبح دراسة الدخيل في أوربا علماً مستقلاً له أصوله وقواعده، ومعاييره وعلماءه إلا في نهاية القرن التاسع عشر عندما أخذت معالم الدراسات اللغوية التاريخية تتضح صورتها، واتجهت نحو تأصيل اللغات، وتبيين فصائلها المنحدرة عنها، ومدى الاتصال بينها، واقتراض بعضها من بعض وكانت دراساتهم قبل هذا التاريخ تنسم بالحدس والتخمين، لافتقارها إلى الوثائق التاريخية والوسائل المساعدة على إيضاح هذا الغرض العلمي.^(٥)

وأثيرت مسألة الدخيل في البحث اللغوي عند العرب في مراحل مبكرة جداً، تعود بذورها الأولى إلى بدايات القرن الهجري الأول حين بدأت الحركة العلمية الناشطة التي دارت حول القرآن الكريم، وعلومه، فاستوفقتهم كلمات وردت فيه مثل (الترقيم، وأب، وأواه، وغسلين، وحنان...) وغيرها من الكلمات التي غمضت دلالتها على صحابة رسول الله، أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب، وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهم.^(٦) والذين تتبعوا تلك الألفاظ وجدوا أنها دخيلة من ألفاظ الأمم الأخرى، وما هي بالعربية الصريحة، فامتثل أمامهم السؤال الكبير: هل في القرآن كلام غير عربي؟^(٧)

(٤) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج: ٥-٦.

(٥) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج: ٧.

(٦) الإتيان في علوم القرآن للسبوي: ١١٥، وأبحاث في اللغة والأدب، د. مسعود بوبو: ٩٨.

(٧) أثر الدخيل على العربية الفصحى: ٢٠-٧١.

الموقفين السابقين.^(٨)

وهم عالية، وصبر، وأناة، ودراية، وما زالت بعض المسائل فيها بحاجة إلى دراسة وبيان.

فتزيد مشكلات اللغة وربما غموضها.

المجلات الدورية والصحف اليومية^(٩) فقد جاوز الألفاظ إلى الجمل والعبارات والتراكيب، فأدخل

^(٢٦) ينظر: امرب نلجوالني: ٤-٥ والإتقان في علوم القرآن: ١٣٦/١-١٤٠ والمزهر في علوم اللغة: ٢٦٦/١-٢٦٩.

(٩) أبحاث في اللغة والأدب: ١١١

عبارات غير عربية في نظامها أقرب إلى اللغات الأجنبية في نظامها منها إلى طرائق العرب وأساليبهم في التعبير.

تلك مسألة الدخيل بوجهها الموجز البسيط. فما هو موقف الطبري منها؟

تناول الطبري مسألة الدخيل في القرآن الكريم في مقدمة تفسيره بحديث نظري أفرد له باباً من أبواب المقدمة بعنوان: (القول في البيان عن الأحرف التي انفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم)^(١٠). وتناولها بوجه تطبيقي في متن التفسير في أثناء شرح الآيات الكريمة.^(١١)

نص الطبري على أنَّ القرآن عربي لأنه منزل على النبي محمد (ص) وهو عربي والقوم المرسل إليهم عرب، وغير جائز أن يخاطب الله أحداً من خلقه إلا بما يفهمه وبذلك نطق أيضاً محكم التنزيل (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (١٢)

وقال: (وإنه لتنزِيل رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)^(١٣)، وغير جائز -في رأيه- الاعتقاد أن بعض القرآن فارسي لا عربي، وبعضه نبطي لا عربي، وبعضه رومي لا عربي، وبعضه حبشي لا عربي. وقال في موضع آخر: ((أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم))^(١٤)

وبين أن الأحرف التي وردت في القرآن موافقة لألفاظ بعض أجناس الأمم، قد كانت للعرب كلاماً تنطق به قبل نزول القرآن، ومن الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟

كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما علمنا من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار، والدواة والقلم والقرطاس، وغير ذلك مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى. ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجهل منطقتها ولا نعرف كلامها.^(١٥)

ومذهبه هذا يعني أن في القرآن ألفاظاً استعملها العرب، وهذه الألفاظ أنفسها مما استعملته الفرس أو الروم أو الحبش على جهة اتفاق اللغات على استعمال لفظ واحد بمعنى واحد، لا على جهة انفراد الكلمة من القرآن بأنها فارسية غير عربية، أو رومية غير عربية. وهو مذهب غير سديد عند اللغويين المحدثين، لأنه يغفل مسألة التأصيل اللغوي، وطبائع اللغات، وتواريخها.

(١٠) تفسير الطبري: ١/١٢٦ مش.

(١١) تفسير الخطري: ١٥٧/٢-١٥٩ش وينظر كذلك: ٥٠٩/١-٥١٠ش.

(۱۲) یوسف: ۲

(١٢) الشعراء: ١٩٢-١٩٥

(١٤) يُنظر تفسير الظهري: ١/١١-١٣، ١٧-١٨، ٢١ ش.

(۱۵) نفسه: ۱/ ۱۴-۱۵ ش.

وذهب مثل هذا المذهب أبو عبيدة، حين قال: ((وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها، فمن ذلك الاستبرق، وهو الغليظ من الديباج، وهو استبره بالفارسية أو غيرها، وعدد ألفاظاً أخرى ثم قال: ((وذلك كله من لغات العرب وإن وافقه في لفظه ومعناه شيء من غير لغاتهم)). وقال ابن فارس: ((وهكذا كما قاله أبو عبيدة)). وقال الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه:

((ما وقع في القرآن من نحو المشكاة، والقسطاس، والاستبرق، والتبجيل، لا نُسَلِّم أنها غير عربية، بل غاية أن وضع العرب فيها وافق لغة أخرى كالصابون والتنور، إن اللغات فيها متفقة))^(١٠)

والطبري لا يقبل أن تسمّى تلك الألفاظ التي اتفقت في اللفظ والمعنى في لسانين من السنة الأمم المختلفة عربية، ولا فارسية، ولا حبشية، ولا رومية، ولا معربة، بل يطلق عليها تسمية لعلها خاصة به، فهو يرى، أن يُسمّى اللفظ المتفق في الفارسية والعربية (عربياً فارسياً)، واللفظ المتفق بالحبشية والعربية (حبشياً عربياً)، واللفظ المتفق بالرومية والعربية (رومياً عربياً)، وشرط ذلك عنده أن تكون الأمتان مستعملتين له في بيانهما ومنطقهما، استعمال سائر منطقهما وبيانهما.

وهذا يتضح من رفضه آراء القائلين على تلك الكلمات: (إِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فارسي لا عربي، أو ذلك كله عربي لا فارسي، أو قال بعضه عربي وبعضه فارسي، أو قال كان مخرج أصله من عند العرب فوق إلى العجم فنطقوا به، أو قال: كان مخرج أصله من عند الفرس فوق إلى العرب فأعربت^(١٧)

وعَلَّ ذلك بقوله: (لأنَّ العرب ليست بأولى أن تكون صاحبة ذلك الأصل، ولا العجم أحق أن يكونوا أصحاب ذلك الأصل، إذا كان استعمال ذلك بلفظ واحد موجوداً في الجنسين. والمدعي أنَّ مخرج أصل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر، مدع أمراً لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بخير يوجب العلم، ويزيل الشك ويقطع العذر صحته)^(١٨)

لعل الحقبة التاريخية المبكرة التي عاش فيها الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) تشفع له أن يطلق مثل هذه الأحكام، لأن تلك الحقبة، لم تكن تعرف الدراسات اللغوية المقارنة، ولم تكن تملك وسائل المعرفة العلمية المتقدمة في أصول اللغات، ولم تكن قد ظهرت بعد دراسات المعرب والدخيل بوجهها الموسع على يد الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، وما كان مفقوداً في عصر الطبري قد ظهر في الدراسات اللغوية الحديثة بفروعها المقارنة والتأصيلية، وقيام دراسات جادة حول المعرب والدخيل أزال اللبس عن هذه المسألة، فباتت معروفة أصول الكلمات ولم يعد هناك غموض في نسبتها، على الرغم من اختلاف المواقف في ذلك.

(١٦) المزهري في علوم اللغة: ٢٦٦/١-٢٦٧.

(۱۶) تفسیر الطبری: ۱/۱۵۱ ش.

(۱۶) نفوس

ومع كل ما قال يبقى في مذهبه هذا ما يدفعنا إلى التساؤل: هل يلحظ في تسميته تلك القائمة على اقتران اسم الأمتين المستعملتين للفظ، والشروط التي وضعها لإطلاق تلك التسمية وميض نظرة متقدمة إلى اللغة، عند الطبري، تتم على أنه كان يرى أن اللغة بنت الحاجة والاستعمال، وأنها قاسم مشترك فيه بين الأمم، ومن حق الأمة المستعملة للفظ أن ينسب إليها، وعندما يكون اللفظ مستعملاً في لغتين، لا يضير -في رأيه- أن ينسب إلى الأمتين؟ فهو يرى أن اللغة كالمال والقادر على استخدامه والتصرف به هو المالك له، فالاستعمال في رأيه هو المعول عليه.

ومنطلق الطبري هذا منطلق لغوي محض، يدعمه منطق العربية، ومذهب العرب في استخدام كلامهم، فهو يعولون على الكلام الأكثر استعمالاً واستخداماً من غيره في نصوصهم الأدبية، وعلى هذا بنوا قواعد لغتهم، وهو في مذهبه هذا يلتقي مع ابن جني في قوله: (ما قيس عى كلام العرب فهو من كلام العرب)^(١٩) ولكنه أضاف أنه لا يضير أن ينسب إلى غير العرب إذا كان مستعملاً في لغتهم.

وفي رأيه أن أنساب اللغة تخالف أنساب بني آدم، لأن أنساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين، دون الآخر لقوله تعالى (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله)^(٢٠) ثم قال: ((وليس كذلك في المنطق والبيان، لأن المنطق إنما هو منسوب إلى من كان به معروفاً استعماله))^(٢١).

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن مذهب الطبري هذا يهمل عامل الزمن والأسبقية في الاستخدام، ويخالف منطق التأصيل اللغوي، مما يؤدي إلى إغفال الهوية الأصلية لبعض الألفاظ.

ولم يكتف الطبري بعرض آرائه النظرية في مقدمة تفسيره، بل راح يطبقها تطبيقاً عملياً في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، فتجلى موقفه تطبيقياً إلى جانب تجليه نظرياً -فيما سبق- من خلال موقفه من الألفاظ التي وافقت في اللفظ والمعنى غيرها من ألفاظ الأمم الأخرى، والتي وردت في آي القرآن الكريم، وقد أثرت أن أكثر من ذكر تلك الكلمات، عسى أن يكون في ذكرها شيء من الإفادة أولاً، ولأن عدداً غير يسير منها غير مذكور في كتاب المعرب للجواليقي ثانياً، ولأنني وجدت بعضها في كتاب المعرب للجواليقي منسوباً لأئمة متأخرين أمثال الأصمعي وابن قتيبة، وابن دريد، وهي في حقيقة الأمر صادرة عن علماء الصحابة والتابعين، فأوردتها منسوبة إلى أصحابها أمثال أبي موسى الأشعري، وابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم العقيلي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي، السدي... مما يبين أن هؤلاء الأئمة كانوا على معرفة حسنة بلغات الأمم المجاورة لهم ثالثاً.

(١٩) الخصائص: ١١٤/١.

(٢٠) الأحزاب: ٥.

(٢١) تفسير الطبري: ١٧/١.

من ذلك تفسير الآية الكريمة (يا بني إسرائيل)^(٢٢)، يعني بقوله: (يا بني إسرائيل) ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن.

ومنه كذلك تفسيره لقوله تعالى (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...) (٢٣)، قال (جبر) و (ميك) إنهما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى (عبد)، والآخر بمعنى (عبيد) وأما (إيل) فهو الله تعالى ذكره.

وقرئ على عدة وجوه (جِبْرِئِيل) بالفتح والهمز والمد، و (جِبْرِيل) بالكسر وترك الهمز، و (جبرئيل) بالهمز وترك المد وتشديد اللام. وفي أثناء توجيه القراءة الثالثة (جبرئيل) قال: إنه قصد بقوله ذلك كذلك إلى إضافة (جبر) إلى اسم الله الذي يسمي بلسان العرب دون السرياني والعبراني. وذلك أَنَّ (الإل) هو الله، كما قال: (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً)^(٢٤)، ثم قال: فقال جماعة من أهل العلم (الإل) هو الله، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لوفد بني حنيفة حين سأله عما كان مسيلمته يقول فأخبروه. فقال لهم: (ويحكم أين يذهبُ بكم والله إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر). يعني بقوله: (من إل): من الله.^(٢٥)

كما تناول كلمة (طور) وكلمة (سيناء أوسينين) لورودهما في عدة آيات كريمة. ففي قوله تعالى (ورفعنا فوقكم الطور)^(٢٦).

نقل عن قتادة، وعن مجاهد، وعن ابن زيد أقوالهم، الطور: هو الجبل بالسريانية^(٢٧) وفي قوله (وشجرة تخرج من طور سيناء)^(٢٨)، نقل عن الضحاك قوله: الطور: الجبل بالنبطية، ومعنى سيناء: حسنة بالنبطية.^(٢٩) وفي قوله تعالى (وطور سينين)^(٣٠)، نقل عن عكرمة قوله: (وطور سينين) هو الحسن بلغة الحبشة، يقولون للشيء الحسن: سينا سينا.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات فإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعنا للطور، كما قال من قال معناه: حسن أو مبارك، لكان الطور منونا، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علة تدعو إلى ذلك.^(٣١)

(٢٢) البقرة: ٤٠.

قال الجواليقي في المغرب: ٢٢١: (قال ابن تيمية الطور الجبل بالسريانية في حين أنه ينسب لمجاهد (ت ١٠٣هـ) تفسير الطبري: ١٥٨/٢ ح

(٢٣) البقرة: ٩٧

(٢٤) التوبة: ١٠

(٢٥) تفسير الطبري: ٣٨٩/٢-٣٩٢ ح.

(٢٦) البقرة: ٦٣

(٢٧) تفسير الطبري: ١٥٨/٢-١٥٩ ح

(٢٨) المؤمنون: ٢٠

(٢٩) تفسير الطبري: ١٨/١٣ ح.

(٣٠) التين: ٢

(٣١) تفسير الطبري: ٣٠/٢٤١-٢٤١ ح.

وتناول كلمة (السري) في قوله تعالى (قد جعل ربك من تحتك سرياً)^(٣٢)، فنقل عن مجاهد، السري: نهر بالسريانية.

وقول سعيد بن جبير، السري: هو الجدول، النهر الصغير، وهو بالنبطي: السري. وقول الضحاك، السري: جدول صغير بالسريانية. قال قتادة: والسري هو الجدول، تسمية أهل الحجاز. قال الطبري: والسري معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير، ومنه قول لبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوزاً^(٣٣) قلامها^(٣٤)

وتناول كلمة (طه) من قوله تعالى (طه). ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى^(٣٥) فقال: اختلّف في تأويلها: فقال بعضهم: معناه: يا رجل. وذهب ابن عباس وعكرمة إلى أنها بالنبطية تعني: يا رجل، أو يا إنسان.

وذهب سعيد بن جبير وقاتدة إلى أنها تعني بالسريانية: يا رجل.

وقال آخرون: اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو حروف هجاء.

وقال آخرون: هو حروف مقطعة، كل حرف منها يدل على معنى.

قال الطبري: والصواب عندي معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وأن معناه فيهم: يا رجل، أُنشِدَتْ لمتمم بن نويرة:^(٣٦)

هتفت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون موائلا

وقال آخر: إن السفاهة طه من خلايقكم لا بارك الله في القوم الملعين^(٣٧)

(٣١) مريم: ٢٤.

(٣٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٢٢٠، العرض: الناحية. التصديق: التشقيق. السحر: الملع. أي عيناً مسجورة حذف الموصوف لما دلّت عليه

الصفة. انقلام: ضرب من النبت.

(٣٣) تفسير الطبري: ١٦/٦٩-٧١ ح.

(٣٤) طه: ١-٢.

(٣٥) متمم بن نويرة، شاعر مخضرم، من أصحاب المراثي المتقدمين. (طبقات فحول الشعراء: ١٦٩-١٧٠ معجم الشعراء: ٤٦٦)

(٣٦) لم أنف على قاتل البيت وهو في (تفسير الطبري: ١٦/١٣٥-١٣٧ ح.

فإذا كان ذلك معروفاً فيهم على ما ذكرنا فالواجب أن يوجّه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهم العلم من الصحابة والتابعين فتأويل الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشتقى. (٣٨)

ظهر من هذه الأمثلة التي سقناها موقفه من الألفاظ الواردة في القرآن وقد وافقت في اللفظ والمعنى ألفاظاً من لغات أجناس الأمم الأخرى، وهو عدم إقراره بوجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم، ولذلك جعل كلَّ الألفاظ التي تحدثنا عنها ذات دلالات عربية لأنها مستعملة في كلامهم بهذه الدلالات، بل راح يطبق عليها قواعد النحو العربي -كما ظهر في أثناء تحليله لكلمتي طور سيناء أو سينين- إيماناً منه بأنها من كلامهم لأنها مستعملة فيهم بهذه المعاني، وهذا ما جعل موقفه من مسألة الدخيل واضحاً بوجهه النظري والتطبيقي، تمثيلاً مع مذهبه الذي حدّده في مقدمة تفسيره المطولة، وهو عدم إقراره بوجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم، ولذلك رأيناه يجعل دلالة كثير من الكلمات -التي أثبت علم اللغة الحديث بدراساته التأصيلية أنها دخيلة غير عربية- ذات أصل عربي مثل الإبلاس (في تفسير معنى إيليس) والسجّل والأواه، والفاسق، والطور، والمسيح، وغيرها من الكلمات.

ونلاحظ أن الأئمة الذين نقل عنهم الطبري معاني هذه الألفاظ الدخيلة في لغتها الأصلية كانوا على معرفة بلغات الأمم المجاورة لهم لكنهم اكتفوا بالإشارة إلى أصول هذه الألفاظ غير العربية، ولم يقلبوا على البحث فيها معتمدين على التحليل الذي يؤدي بهم إلى الوصول إلى القوانين العامة أو استخلاص الأحكام، كما هو مأمول من مثل هذا اللون من البحث. ولم يهدفوا من دراسة الدخيل إلى إظهار قضية التبادل اللغوي بين اللغات، أو البرهنة على صلتها بعضها ببعض، وما لتلك الصلات والألفاظ الدخيلة من آثار سلبية أو إيجابية في اللغة التي تأخذها، ولكن على الرغم من كل ذلك تبقى لإشارتهم تلك إلى دلالات تلك الألفاظ بلغات الأمم الأخرى، منزلتها العلمية، وخصوصاً إذا نظرنا إليها في ضوء الظرف التاريخي المبكر الذي بحث فيه، والذي لم يعرف البحوث اللغوية المقارنة، ولا البحوث التأصيلية، ولم يعرف من أدوات البحث ووسائله وطرائقه ما يعرفه علماء اليوم، ولو وجد من تابعهم في عملهم هذا، لكان في صنيعهم وصنيع من خلفهم فوائد جمة، وخير عيم، يصيبه الباحثون المهتمون بالدراسات اللغوية المقارنة والتأصيلية والتقابلية.

ولعل موقف الطبري هذا من مسألة الدخيل ناتج من عدم معرفته الصحيحة باللغات السامية كالعبرية والسريانية...، وغيرها من لغات الأمم الأخرى المجاورة للعرب كالفارسية والرومية، مما جعله غير موفق في رد كثير من الكلمات الدخيلة إلى أصولها الأجنبية.

ولكن على الرغم من كل ذلك تعد جهود الطبري في أصل الدلالة حلقة مبكرة من حلقات اهتمام العلماء العرب بهذا الموضوع، أراد من خلال ذلك أن يكشف الستار عن المعنى الأصلي لكثير من

(۳۸) تفسیر انطاری: ۱۶/۱۳۵-۱۳۷ ح.

ألفاظ القرآن الكريم وأن يبين أن دلالاتها عربية الأصل على الرغم من اتفاقها في اللفظ والمعنى مع ألفاظ أجناس الأمم الأخرى، وعمله هذا لم يكن مقصوداً لذاته، بل جاء على شكل ظواهر لغوية نشرها في تفسير آيات الذكر الحكيم، لكنها تعد إسهاماً في التحليل الدلالي لبنية اللغة، وترمي إلى استكناه دلالة الكلمة والوقوف على أصولها وصفاً وتطبيقاً.

□

□ المصادر والمراجع:

- ١- أبحاث في اللغة والأدب، د. مسعود بوبو، دار شمال للطباعة والنشر، دمشق - ١٩٩٤.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، المطبعة الأزهرية، القاهرة - ١٣١٨هـ.
- ٣- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، وزارة الثقافة دمشق - ١٩٨٢م.
- ٤- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، طبعة دار الكتب، بيروت - ١٩٦٠.
- ٥- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٤٩هـ = ١٩٣١م.
- ٦- تفسير الطبري = (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري، ط٢، شركة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٥٤-١٩٥٨م وهي المقصودة بالرمز (ج).
- ٧- تفسير الطبري = (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري حققه وعلق حواشيه محمود شاكر راجعه وخرج أحاديثه أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥-١٩٦٩ (طبع منه ١٦ جزءاً) وهي المقصودة بالرمز (ش).
- ٨- التنبيه والإشراف، للمسعودي، تحقيق الصاوي، مصر ١٩٣٨.
- ٩- الخصائص، لابن جني، حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت ١٩٥٢م.
- ١٠- ديوان لبين بن ربيعة العامري، دار القاموس الحديث، بيروت (بلا تاريخ).
- ١١- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، حققه محمود شاكر، دار المعارف بمصر - ١٩٥٢م.
- ١٢- طبقات المفسرين: طبعة لندن ١٨٢٩هـ.
- ١٣- طبقات المفسرين، للداودي، حققه عمر علي عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، ط١ - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
- ١٤- فتوح البلدان، للبلاذري، طبعة مصر - ١٩٠١م.
- ١٥- كتاب المصاحف، للسجستاني (عبد الله بن سليمان بن الأشعث)، مصر - ١٩٣٦م.
- ١٦- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ط١، حيدر آباد الدكن - ١٣٣١هـ.
- ١٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، حققه محمد جاد المولى وزملاؤه، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي - ١٩٥٨م.

*** التراث العربي ***

- ١٩- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، ط٣ دار المعارف بمصر - ١٩٦٦م.
- ٢٠- المعارف، لابن قتيبة، تصحيح الصاوي، المطبعة الرحمانية- ١٩٣٥م.
- ٢١- معجم الأدباء، ياقوب الحموي، مطبوعات دار المأمون بمصر (بلا تاريخ)
- ٢٢- معجم الشعراء (ع-ي) للمرزباني، تصحيح وتعليق كرنكو، القاهرة- ١٩٥٤م.
- ٢٣- المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي، حققه أحمد شاكر، دار الكتب، القاهرة ١٣٦١هـ.

□□□